

عنوان البرنامج: تقريب المذهب المالكي
الوحدة الأولى: مقدمات منهجية لتقريب المذهب المالكي
الدرس الثالث: التقريب وقواعد الاشتغال التداولي في المذهب المالكي
اسم المحاضر: الدكتور عبد الله معصر

التقريب وقواعد الاشتغال التداولي في المذهب المالكي

القاعدة الأولى:

الأصل في كل متن مذهبي الارتباط بأصول علمية معينة

ومقتضى هذه القاعدة أن التراث الفقهي المذهبي كمضامين (أحكام) يرتبط ارتباطا وثيقا بأصوله العلمية التي أسس عليها وبني عليها.

فكل محاولة لتقريب المذهب لا تراعي هذه القاعدة يكون صاحبها قد أدخل بشرط من شروط التداول التقريبي.

ذلك أن التقريب - كما مورس في تراث المذهب المالكي - بجميع أشكاله وأنماطه (مقدمات، ومداخل، ومختصرات ومنظومات، وشروح، وشروح الشروح، وحواشي وتعليقات، وتقريبات، وتنزيلات، وكتب أحكام، وكتب أدلة...) لا يخرج عن ضريين:

الضرب الأول: ونسميه **التقريب المطوي**، وهو تقريب طويت أدلته، واستدلالاته، وحججه وشواهده التي استندت إليها أحكامه، واقتصر على ذكر الحكم مجردا عن أدلته.

والضرب الثاني: ونسميه **بالتقريب المنشور**، وهو تقريب رُبط فيه المتن الفقهي والمذهبي بأدلته ونصوصه التي استنبطت منها أحكامه، مع تفاوت بين المصنفين توسعا وضيقا في بسط هذه الأدلة.

القاعدة الثانية:

لا تقرب إلا باستحضار الحقيقة التكاملية للعلوم الإسلامية

ومقتضى هذه القاعدة أن المتن الفقهي المذهبي تتداخل في إنشائه علوم شرعية ولغوية متعددة (مثل علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الأصول، علوم اللغة والنحو) تتداخل إمداد واستمداد، وتراتب وتفاعل.

وقد تحصل من أخذ علماء المذهب بهذه القاعدة نتيجتان اثنتان:

الأولى: إثمار المضامين العلمية

والثانية: الإحكام المنهجي

فأصبحت أشكال التقريب ونماذجه تتزاح مع النقد، والبحث، والتعقب، والاستدراك، والمناقشة، والاعتراض، والرّدّ، والتحرير، والتصحيح، والتضعيف، والتنقيح، والتهذيب... الخ.

ولولا هذا التداخل بين العلوم ما انفتحت للعلماء مسالك التقريب البعيدة والقريبة.

القاعدة الثالثة:

الأصل في التقريب الانضباط بجملة قواعد وآليات

ومقتضى هذه القاعدة أن التقريب تحكمه جملة قواعد تدولية، ويتم التوسل فيه بالآليات. وتشمل هذه الآليات أنواعا كثيرة، منها الجمع والتقسيم، والتعميم والتخصيص، والإطلاق والتقييد، والإجمال والتفصيل، والإظهار والإضمار، والتقديم والتأخير وهلم جرا.

ومن هذه الآليات:

- آلية الإضافة: والتي يراعى فيها السياق، فيتم تميم وتكميل ما يحتاجه المخاطب من معارف.
- آلية الحذف: وتقوم هذه الآلية بحذف كل ما من شأنه أن يربك المعارف الموجهة للمخاطب.
- آلية الإبدال: وتقضي باستبدال الأمثلة التي لا تناسب المجال التداولي للمخاطب بأمثلة تفيده.

- آلية القلب: وتفيد في تقديم وتأخير ما يحتاجه المخاطب بحسب مجاله التداولي، كما يلجأ إليها في جمع وترتيب ما تفرق من معارف.

والخلاصة أن هذه القاعدة تفيد في تثبيت الكفاية التبليغية والتوجيهية للخطاب.

القاعدة الرابعة:

لا تقرب إلا على مقتضى مراعاة الحاجة التبليغية والكفاية الإفهامية للخطاب.

ومقتضى هذه القاعدة أن العبارات التي يصاغ بها الخطاب تكون على قدر حاجة المخاطب، لا تزيد ولا تنقص، مما يحقق الكفاية الإفهامية المنشودة.

ذلك أن المقرَّب يلتزم بمسالك التداول اللغوي، ويستحضر قواعده وضوابطه التي يستند إليها، وهي ثلاث قواعد:

قاعدة الإنجاز التأصيلي،

وقاعدة الإيجاز التكميلي،

وقاعدة الإعجاز التفضيلي.

أما الأولى: وهي قاعدة الإنجاز التأصيلي، فتقضي بالتمسك بالتركيب الصحيح.

وأما الثانية: وهي قاعدة الإيجاز التكميلي: فتقضي بالتمسك بالاختصار في العبارة.

وأما الثالثة: وهي قاعدة الإعجاز التفضيلي: فتقضي بتوظيف وجوه الكمال في البيان العربي.

فالبنية الدلالية للحملة ترتبط بصورتها اللفظية، وتتقلب بنمط وشكل الممارسة التقريبية، مع تحقيق الوظيفة التبليغية للمضمون المعرفي.

المصادر والمراجع

- تجديد المنهج في تقويم التراث: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1994م
- تقريب المذهب والعقيدة والسلوك: عبد الله معصر سلسلة أبحاث ودراسات (1) مركز درا بن إسماعيل لتقريب المذهب والعقيدة والسلوك التابع للرابطة المحمدية للعلماء الطبعة الأولى 1433هـ/2012م
- العدد الرابع من مجلة الغنية رمضان 1435هـ يوليو 2014م
(ملف العدد تقريب المذهب المالكي قضايا وظواهر) يصدرها مركز دراس بن إسماعيل لتقريب المذهب والعقيدة والسلوك التابع للرابطة المحمدية للعلماء.